

مصر ٢٠١١:

الملايين إنتفضت ببسالة... أما المستقبل فلم يكتب بعد

بيان لبوب أفاكيان رئيس الحزب الشيوعي الثوري الولايات المتحدة الأمريكية

11 فبراير 2011

إنتفضت ملايين الشعب المصري ببسالة ومن كافة مناحي الحياة، مستوحيين من الشعب التونسي، ضد نظام حسني مبارك البغيض وارغمته على التنحي. وبهذا تكون قد حطمت مقولة "أن الأشياء لا تتغير أبداً". انها الدليل القوي الذي يؤكد انه ليس هناك ضرورة دائمة للظروف التي تعاني في ظلها الغالبية العظمى من البشرية بشكل مريع. لقد شاركت الشعوب المضطهدة وكل الشعوب التواقة لازالة الاضطهاد في الفرحة والامل المستلهمين من هذه الانتفاضات الشعبية الواسعة. وما زالت شعلة الثورة متقدة ومستمرة في الانتشار.

وفي الوقت الذي تنازل فيه مبارك، فان القوى الأساسية التي حكمت واستغلت الشعب المصري ما زالت باقية في السلطة. ولكن بالرغم من كلامهم المعسول في مديح جماهير الشباب وغيرهم من شاركوا في الانتفاضة، وبالرغم من وعود "الحرية" و"الديمقراطية"، فانهم في الواقع عازمون على تحقيق "تحول" من شأنه ان يضمن انه لن تكون هناك تغييرات اساسية، وأن كل ما تمت هندسته من ترتيبات جديدة في العملية السياسية سوف يُبقي على الجماهير الشعبية في مصر أو فلسطين أو غيرها من البلدان ذات الأهمية الإستراتيجية للإمبريالية الأمريكية، لتعيش في اوضاع لا تطاق. على كل حال، فان القوات المسلحة المصرية - المفترض انها ستقوم بهذا "التحول"، (هي نفسها التي ظلت لعقود تفرض بوحشية وولاء لسيطرة حكم نظام مبارك والتي أترى قادتها العسكريون واصبحوا اكبر مستغلي الشعب المصري)، فضلاً عن الإمبريالية الأمريكية - التي ساندت مبارك ورجالاته وابتقتهم في مواقع السلطة لمدة ثلاثين عاماً - دون أي اعتبار لمعاناة الشعب، هم الامبرياليون ذاتهم الذين ينهضون الآن ثانية لانتقاط المبادرة وإصدار الاوامر النهائية التي تحدد كيفية "التحول" في مصر.

أن مخططات وتصاميم هؤلاء المضطهدين والمستغلين لا تعبر عن رغبات جماهير الشعب وإحتياجاته الملحة. بل ان صرخة الجماهير هي ل"الحرية" والنضال المستمر حتى إنجاز الحرية الحقيقية - الحرية من حكم الإمبريالية وأذئابها المحليين وشركاهم الصغار - والتحرر من كافة أشكال القمع والاستغلال. الحرية من كل القوى التي عفا عليها الدهر والتي تستعبد النساء والشعب بأسره على شكل يشابه قمع القرون الوسطى المظلمة، ومن القوى المندثرة التي تستعبد الناس باسم "الديمقراطية" ... "الحرية" ... ومن الاستغلال الراسمالي - الإمبريالي الذي يُسوق على أنه تقدم.

لقد تكرر مراراً عبر التاريخ، كما هو الحال في مصر (وكذلك في تونس)، كيف إتخذت الهيمنة الإمبريالية وحكم المستغلين المحليين شكلاً متمركزاً في نظام "رجل قوي" وسفاح، هذا كان الحال، على سبيل المثال، في إيران ووزنانات التعذيب ايام حكم الشاه، وفي الفلبين تحت طغيان ماركوس، وإندونيسيا في العهد الوحشي والمديد لسوهارتو - كل الديكتاتوريات الوحشية التي وضعتها الإمبريالية الأمريكية في السلطة وأبقت عليها لامتد طويل. في إيران في اواخر السبعينيات والفلبين اواخر الثمانيات، وفي إندونيسيا في الأونة الأخيرة، أرغمت انتفاضات الجماهير الإمبريالية الأمريكية ان تتخلى عن هؤلاء الطغاة وتسمح ببعض التغييرات. إلا انه، في كل حالة من هذه الحالات، لم تؤدي النتيجة النهائية الى «الحرية» الحقيقية

للشعب، - بل ما زالت هذه الشعوب تتعرض للقمع القاسي على ايدي اولئك الذين حلوا مكان الحكام السابقين البغضاء، في حين ظلت هذه البلدان ضمن الاطار العام لهيمنة الإمبريالية العالمية واستغلالها. ولكن التجربة التاريخية أثبتت أيضاً أن استمرار الحكم القمعي، بهذا الشكل او ذلك، ليست هي النتيجة الوحيدة الممكنة.

ففي روسيا، فبراير ١٩١٧، أطاحت الانتفاضة الشعبية بقيصر مستبد (الحاكم المطلق). ومرة أخرى حاول إمبريالو الولايات المتحدة وبريطانيا وبعض القوى الإمبريالية الأخرى والرأسماليون الروس إضطهاد الشعب بشكل جديد باستخدام آليات "الحكم الديمقراطي" والانتخابات، واتي حتى بالرغم من السماح بشيء من المشاركة العريضة للأحزاب المختلفة، ستكون تحت السيطرة الكاملة لمستغلي الشعب والتي سوف تضمن استمرارية حكمهم والمزيد من معاناة الجماهير الشعبية. الا انه في هذه الحالة تم تمكين الجماهير من تعرية المناورات والتلاعب كي تستطيع المضي قدماً بالهبة الثورية عبر منعرجات مختلفة حتى استطاعوا الوصول في أكتوبر ١٩١٧ الى دحر وتفكيك مؤسسات وآليات الديكتاتورية البرجوازية وإقامة نظام سياسي واقتصادي جديد، الأشركيه، الذي إستمر في التقدم لعقود من الزمن نحو الغاء علاقات الاستغلال والاضطهاد كجزء من الصراع العالمي نحو تحقيق الهدف النهائي - الشيوعية. ان الفرق الجوهرى يكمن في ان الانتفاضات الروسية كان لها قيادة في المركز، قياده شيوعيه، قيادة تملك فهماً واضحاً وعلمياً لطبيعة النظام القمعي برمته وليس فقط لهذا الحاكم المستبد او ذلك، وللحاجة لاستمرار النضال الثوري لا من أجل الاطاحة بحاكم معين فحسب ولكن لمحو النظام برمته واستبداله بنظام يجسد وينفخ الحياة في الحرية وفي المصالح الأساسية للشعب في سعيه نحو ازالة كل اشكال القمع والاستغلال.

وبالرغم من انه تم في النهاية الانقلاب على الثورة في روسيا واسترداد الراسمالية في خمسينيات القرن الماضي، وبالرغم من ان روسيا اليوم لم تعد تخفي حقيقتها كقوة راسمالية - إمبريالية، فان الثورة الروسية لعام ١٩١٧ تقدم دروساً قيّمة وحاسمه في عالم اليوم. لعل الدرس الأكثر حسماً هو انه: عندما تخرج الجماهير بالملايين وتكسر القيود التي كبلتها ضد مضطهديها وظالمها، فان السؤال حول إذا ما كان نضالها البطولي هذا سيؤدي الى إحداث التغيير الاساسي، أي التحرك نحو الغاء كافة أشكال الاستغلال والظلم أم لا، فان هذا يعتمد على وجود القيادة، القيادة الشيوعيه، التي تتسلح بالفهم والأسلوب العلمي، وتستطيع على هذا الاساس تطوير النهج الاستراتيجي المطلوب والتأثير على وتوطيد الروابط المنظمة بين الاعداد المتزايدة من الجماهير، من أجل قيادة انتفاضة الشعب عبر كل المنعرجات والمنعطفات نحو الهدف وهو التحول الثوري الحقيقي للمجتمع بما يتوافق مع المصالح الأساسية للشعب. وعندها، عندما تحطم الجماهير الغفيرة «الروتين الرتيب» والقيود التي كانت تكبلها بسبب العلاقات القمعية التي كانوا يرضحون تحتها - عندما يحطمون كل ذلك وينتفضون بالملايين - تكون هذه هي اللحظة الحاسمة للتنظيم الشيوعي لتطوير علاقته مع هذه الجماهير ورص صفوفه وتعزيز قدرته على القيادة. أو، إذا لم يكن هذا التنظيم الشيوعي موجوداً، او كان متواجداً في شظايا معزولة، فان هذه الحظه تكون هي الحاسمه لانطلاقة التنظيم الشيوعي وتطويره ليأخذ على عاتقه مواجهة التحدي المتمثل في دراسة وتطبيق النظرية الشيوعية بطريقة خلاقة في خضم هذه الظروف المضطربة ولتطوير علاقته باستمرار مع الجماهير والتأثير فيها للوصول في نهاية المطاف الى قيادة الاعداد الغفيرة من هذه الجماهير نحو الثورة التي تمثل المصالح الأساسية والسامية، ألا وهي الثورة الشيوعية.

في كتاباتي وأحاديثي المنشورة في "الشيوعية: بداية مرحله جديده"، البيان الصادر عن الحزب الشيوعي الثوري الولايات المتحدة الأمريكية وفي الوثائق الأساسية الأخرى لحزبنا، سعيانا بكل جهدنا لإستيعاب الدروس الهامة المستمدة من التجربة التاريخية للثورة الشيوعية والمجتمعات الاشتراكية التي قامت بفضلها - بما فيها الإنجازات الحقيقية والعظيمة والأخطاء والمنتكسات الخطيرة - والتعلم من

الخبرات الأوسع للمجتمعات البشرية والتطورات التاريخية كي تتمكن من المساهمة بكل ما بوسعنا من أجل دفع النضال الثوري وتحرير الشعوب المضطهدة في جميع أنحاء العالم. وكما ينص دستور حزبنا:

" أخذ الحزب الشيوعي الثوري الولايات المتحدة على عاتقه قيادة الثورة في الولايات المتحدة، في بطن الوحش الإمبريالي، كمساهمتها الرئيسية في الثورة العالمية وللهدف النهائي في الشيوعية....

"ان تحرير الإنسانية جمعاء، ولا شيء أقل من ذلك، هو هدفنا. وليس هناك قضية أعظم أو هدفاً اسمى من هذا نكرس له حياتنا".

انطلاقاً من هذه الروح، وأخذاً بعين الاعتبار هذا التوجه والهدف، فاني أتقدم بكل المساندة القلبية والتشجيع لهذه الملايين المنتفضة. الى كل الذين يريدون حقاً أن يروا هذا النضال البطولي للجماهير المضطهدة في ظل القيادة المطلوبة، ان يتطور في اتجاه التحول الثوري الحقيقي وتحرر اصيل للمجتمع: الانخراط والالتزام بوجهة النظر والاهداف التحررية للشيوعية، وفي التحدي في اعطاء هذا التعبير المنظم وفي التأثير والحضور المتنامي بين الجماهير المناضلة.